الصاعقة الحادية والسبعون: لا تَحسَبوا رَبعَكُم ولا ظَلَلَهْ(*)

لا تَحسَبوا رَبعَكُم ولا طَلَلَهْ ... أوَّلَ حَيٍّ فراقُكُمْ قَتَلَهْ

قَد تَلِفَت قَبلَهُ النّفوسُ بِكم ... وأكثَرَتْ في هَواكُمُ العَذَلَهْ

خَلا وفيهِ أهلٌ وأوحَشَنا ... وفِيهِ صِرمٌ مُروخٌ إبِلَهْ

لو سارَ ذاكَ الحَبيبُ عن فَلَكٍ ... ما رضيَ الشَّمسَ بُرجُه بَدَلَهْ

أحبّهُ والهَوى وأدؤرَهُ ... وكُلُّ حُبٍّ صَبابَةٌ ووَلَهْ(١)

يَنصُرُها الغَيتُ وهيَ ظامِئَةٌ ... إلى سِواهُ وسُحبُها هَطِلَهْ

وا حَربا منكَ يا جَدايَتها ... مُقيمةً، فاعلَمي، ومُرتَحِلَهْ

لَو خُلِطَ المِسكُ والعَبيرُ بِها ... ولَستِ فيها لَخِلتُها تَفِلَهْ(٢)

أنا ابنُ مَن بعضُهُ يَفُوقُ أبا الـ ... ـباحِثِ والنَّجلُ بعضُ من نَجَلَهْ

وإنّما يَذكُرُ الجُدودَ لَهُمْ ... مَنْ نَفَرُوهُ وأنفَدوا حِيَلَهْ

فَخراً لعَضبٍ أرُوحُ مُشتَمِلَهْ ... وسَمهَرِيٍّ أرُوحُ مُعتَقِلَهْ

ولِيَفخَرِ الفَخرُ إذْ غَدَوتُ بِهِ ... مُرتَدِيًا خَيرَهُ ومُنتَعِلَهْ

أنا الذي بَيَّنَ الإلَهُ بِهِ الـ ... ـأقدارَ والمَرءُ حَيثُما جَعَلَهْ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا العشائر.

(١) الأدؤر: جمع دار.

(٢) تفلة: فتنة الريح.

جَوهَرَةٌ تَفرَحُ الشِّرافُ بها ... وغُصّةٌ لا تُسيغُها السِّفلَهْ

إنّ الكِذابَ الذي أُكادُ بِهِ ... أهوَنُ عِندي مِنَ الذي نَقَلَهْ

فَلا مُبالٍ ولا مُداجٍ ولا ... وانٍ ولا عاجِزٌ ولا تُكَلَهْ

ودارِعٍ سِفتُهُ فَخَرَّ لَقًى ... في المُلتَقى والعَجاجِ والعَجَلَهْ

وسامِعٍ رُعتُهُ بقافِيَةٍ ... يَحارُ فيها المُنَقِّحُ القُولَهْ

وربما أُشهِدُ الطّعامَ مَعي ... مَن لا يُساوي الخُبزَ الذي أَكَلَهْ

ويُظهِرُ الجَهلُ بِي وأعرِفُهُ ... والدُّرُّ دُرٌّ برَغْمِ مَنْ جَهِلَهْ

مُستَحيِيًا من أبي العشائرِ أنْ ... أسحَبَ في غَيرِ أرضِهِ حُلَلَهْ

أسحَبُها عِندَهُ لَدى مَلِكٍ ... ثِيابُهُ مِنْ جَليسِهِ وَجِلَهْ

وبيضُ غِلمانِهِ كَنائِلِهِ ... أوّلُ مَحمُولِ سَيبِهِ الحَمَلَه

ما لِيَ لا أمدَحُ الحُسَينَ ولا ... أبذُلُ مِثلَ الوُدِّ الذي بَذَلَهْ

أَأَخْفَتِ العَينُ عِندَهُ أثَرًا ... أمْ بَلَغَ الكِيذُبانُ ما أمَلَهْ[1]

أم لَيسَ ضَرّابَ كلّ جُمجُمَةٍ ... مَنخُوّةٍ ساعَةَ الوَغى زَعِلَهْ[2]

وصاحِبَ الجودِ ما يُفارِقُهُ ... لَوْ كانَ للجُودِ مَنطِقٌ عَذَلَهْ

وراكِبَ الهَولِ لا يُفَتِّرُهُ ... لَوْ كانَ للهَولِ مَحزِمٌ هَزَلَهْ

وفارِسَ الأحمَرِ المُكلَلِ في ... طَيِّءٍ المُشرَعَ القَنا قِبَلَهْ

---

(١) الكيذبان: الكثير الكذب.

(٢) المنخوة: ذات النخوة. وهي العظمة والكبر. الزعلة: النشيطة.

لـمَّـا رأت وَجـهَـهُ خُـيُـولُهُمُ ... أقـسَـمَ بـاللهِ لا رأَت كَـفَـلَهْ

فـأكـبَـرُوا فِـعلَهُ وأصـغَـرَهُ؛ ... أكـبَـرُ مِنْ فِـعلِه الذي فَـعَلَهْ

القـاطِعُ الواصِلُ الكَمـيلُ فَـلا ... بَعضُ جَـمـيلٍ عن بَعضِـهِ شَغَلَهْ

فَـواهِبٌ والرِّمـاحُ تَشـجُـرُهُ ... وطاعِنٌ والهِـبـاتُ مُـتّـصِلَهْ[1]

وكُلَّمـا أمَّنَ البـلادَ سَـرى ... وكلَّمـا خِـيفَ مَنزِلٌ نَزَلَهْ

وكلَّمـا جـاهَرَ العَـدُوَّ ضُـحى ... أمكَنَ حـتى كـأنَّهُ خَـتَلَهْ

يَحـتَـقِـرُ البـيضَ واللِّدانَ إذا ... سَنَّ عليـهِ الدِّلاصَ أو نَثَلَهْ[2]

قـد هَذَّبَتْ فَـهـمَـهُ الفـقـاهَةُ لي ... وهَذَّبَت شِـعـرِيَ الفَـصـاحَـةُ لَهْ

فـصـبـرتُ كـالسـيَّفِ حـامِـدًا يَدَهُ ... لا يحـمـدُ السَّـيفُ كلَّ مَن حَـمَلَهْ

---

(١) تشجره: تطعنه.

(٢) اللدان: الرماح اللينة. الدلاص: الدرع اللينة. سنّ الدرع: صبّها. نثلها: ألقاها عنه.